مجلة الجزيرة للعلوم التربوية والإنسانية
الرقم الدولي: ISSN Linking: 1858-8743
http://journals.uofg.edu.sd/index.php/gjehs/

وظيفة حروف الجر ودلالاتها في التراكيب اللغوية

د. آدم محمد أحمد الحاج الزاكي[1]
د. محمد الطيب الصديق محمد[2]
د. إجلال محمد عوض الكريم[3]

1 أستاذ مشارك - قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة الجزيرة، كلية التربية – حنتوب
2 أستاذ مشارك - قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة الجزيرة، كلية التربية – حنتوب
3 أستاذ مساعد- قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة الجزيرة، كلية التربية – حنتوب

المعلومات:

تاريخ إرسال الورقة: 4/4/2022

تاريخ قبول الورقة: 4/4/2022

تاريخ نشر الورقة: 08/3/2023

الملخص

هدفت الدراسة إلى إبراز مكانة حروف الجر في البناء اللُّغوي، ودورها في التراكيب اللُّغوية المختلفة، للحاجة إليها في التعبير عن العلاقات اللُّغوية المختلفة، كالدلالة على الزمان والمكان، أو علاقة الفاعلية أو المفعولية وربط الأسماء بالأسماء، والأسماء بالأفعال، وبيان ما تقوم بها من وظائف نحوية ودلالات لغوية، كالربط بين المضاف والمضاف إليه، والاختصار في الكلام، إضافة إلى الوظيفة البنائية، والوقوف على الخلاف حول إنابة حروف الجر بعضها عن بعض في الدلالة، وما استند عليه كل فريق لإثبات رأيه والمترادفات التي استعملت للدلالة على الإنابة، وكالتوسع والتضمين والتناوب، والتعرف على مواطن زيادة حروف الجر ودورها في انسجام العبارات وتراكيبها وتتبع الاستعمالات المعاصرة للحروف ، وإظهار الحالات التي تخالف فيها الاستخدام السليم. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي. وتوصلت إلى النتائج الآتية: إنّ حروف الجر أنشط الحروف العاملة وأكثرها حيوية لصلتها بالأسماء واختصاصها بها، إنّ كثيراً من العلاقات التركيبية في البناء اللُّغوي لا تتم إلا بوجود حروف الجر، مثل علاقة الفاعلية والمفعولية، والعلاقة المكانية والزمانية، لحروف الجر وظائف أُخرى تقوم بها، منها الاختصار في الكلام، والنحاة على امتداد تاريخ النحو مختلفون في دلالات حروف الجر مما انعكس على تفسير القرآن الكريم، لا يُفهم من زيادة بعض حروف الجر في البناء اللُّغوي أنّه لا عمل لها، بل إنّ هناك زيادة في المعنى لا يتحقق من دونها. توصي الدراسة بالآتي: إخضاع حروف الجر إلى مزيد من الدراسات التطبيقية في القرآن الكريم، والنصوص الأدبية، البحث عن أسباب الخلاف بين النحاة في دلالات حروف الجر، حصر الأخطاء الشائعة في استخدام حروف الجر.

الكلمات المفتاحية وظيفة حروف الجر، دلالاتها، التراكيب اللغوية

Functions and Meanings of Prepositions in Language Structures

Abstract

The study aimed at casting light on the functions and roles of prepositions in various language structures because prepositions represent a requisite for expressing relationships between sentence elements. For instance, they occur to refer to time and place, to denote nominative and accusative cases, to connect nouns with other nouns, and to link nouns with verbs. The study also aimed at explaining syntactic and semantic functions of prepositions, such as the role they play in conciseness, and in connecting governing nouns with governed ones in genitive constructions. The study also aimed to shed light on grammarians' differing views about prepositions as semantically interchangeable particles, on the pieces of evidence each group provide, and on the example prepositions they give as interchangeable synonyms. For example, prepositions are associated with extension, embedding and interchangeability. The study also aimed to explain structures containing superfluous prepositions, to show the role they play in creating harmony between phrases and the constructions they are embedded in, to investigate contemporary uses of prepositions, and to reveal the types of constructions in which they are misused. The study followed the descriptive, inductive and analytical method, and has come up with the following findings: Prepositions represent the most active and lively type of particles in Arabic because they co-occur and are usually connected with nouns. Many types of grammatical relationships in constructions cannot be expressed without using prepositions, such as nominative-accusative and time-place relationships. Prepositions also serve other purposes such as concision. The study also shows that grammarians throughout the history of syntax have remained in disagreement on the meanings of prepositions, which has resulted in differing interpretations of some Quranic texts. Further, superfluous prepositions occurring in constructions should not be considered as functionless, but they, in fact, denote extra meanings which cannot be expressed otherwise. The study makes the following recommendations: Further applied studies should be conducted on the use of prepositions in the Holy Quran and literary texts. More studies should also be done to explain the reasons behind the differing views of grammarians on the meanings of prepositions, and to detect and cover the common misuses of prepositions.

مقدمة

تقوم الجملة العربية على الإحكام والربط بين عناصرها المتمثلة في الاسم والفعل والحرف، وأجزاء التعبير، ويتم التوصل إلى ذلك باستخدام بعض الأساليب التي سُمعت عن العرب والاستعانة بأدوات الربط اللُّغوي مثل: حروف الجر، والعطف ، وأدوات الشرط، وأدوات الاستثناء، والاستدراك ، إلى غير ذلك من الأدوات التي تقوم بهذا الدور. وبالنظر إلى أجزاء الكلام نجد أنَّ الحروف بكلِ أنواعها ووظائفها ودلالاتها اللُّغوية تمثل ثلث اللغة التي نستخدمها في حياتنا العملية.

وأنشط هذه الحروف وأكثرها حيوية هي حروف الجر، لصلتها القوية بالأسماء واختصاصها بها، وأنَّ الاسم أكثر انتشاراً في التراكيب اللُّغوية المختلفة مقارنة بقسيميه الفعل والحرف. وأنَّ حروف الجر تقوم بعملية الربط بين أجزاء الجملة، فالفعل المتعدي يصل إلى مفعوله بنفسه، نحو:(أكرمتُ خالداً)، (وشكرت محمداً)، أما الفعل اللازم فيحتاج إلى حرف الجر ليصل به إلى مفعوله، نحو:(رضيت عن الرجل)، و(ذهبتُ إلى المدرسة)، و(أثنيت على المجتهد)، وهذا ما قصده سيبويه بقوله:((الأفعال التي تُوصل بحروف الإضافة)) يعني به حروف الجر. نجد ذلك في قوله إذا قلت:(مررتُ بزيد) بدأت بالفعل، ولم تبتدئ باسم تبنيه عليه، ولكنك قلت:(فعلتُ)، ثم بنيت عليه المفعول، وقد كان الفعل لا يصل إليه إلا بحرف الإضافة، فكأنك قلت:(مررتُ زيداً)(1).

نقف في هذه الدراسة على وظيفة حروف الجر، ودورها في التراكيب اللُّغوية ، والتوسع في استعمالها وزيادتها في البناء اللُّغوي، من خلال منهج وصفي استقرائي تحليلي.

المبحث الأول

التعريف بحروف الجر ووظائفها

مفهوم حروف الجر:

يكاد يتفق النحاة في تعريف الحرف بأنه: ((كلمة تدل على معنى في غيرها فقط))(2). ومقتضى هذا التعريف هو أنَّ الحروف جميعها عبارة عن روابط في التراكيب اللُّغوية المختلفة التي يقوم عليها البناء اللُّغوي، وأنَّ معناها يتوقف على ذكر متعلقاتها، وإذا أفردت فقدت المعنى والمدلول؛ ويقول ابن يعيش في ذلك:((وقولنا: دّلت على معنى في غيرها، فصل ميزه من الاسم والفعل))(3). إذ إنَّ معنى الاسم والفعل في أنفسهما، ومعنى الحرف في غيره.

أما حروف الجرِّ التي عددها عشرون حرفاً – على أغلب المصادر – وهي: الباء، من، إلى، عن، على، في، الكاف، اللام، واو القسم، تاء القسم، مُذْ، منذُ، رُبَّ، حتى، خلا، عدا، حاشا، كي، متى – في لغة هُذيل –

---

[1] – الكتاب، ج2، ص31–39.

[2] – الجني الداني في حروف المعاني، ص2.

[3] – شرح المفصل، ص8.

ولعلَّ في لغة عُقيل. فقد سميت حروف الجر، لأنها تجر معنى الفعل الواقع قبلها إلى الاسم وهو بعدها، أو سميت كذلك، لأنَّها تجر ما بعدها من الأسماء، وتسمَّى حروف الخفض عند بعضهم، كما تسمَّى حروف الإضافة، لأنها تضيف معاني الأفعال قبلها إلى الأسماء بعدها.

إذ إنَّ بعض الأفعال لا تقوى على الوصول إلى المفعول إلاّ بمساعدتها وتقويتها له، وهذه منها ما يختص بالدخول على الأسماء الظاهرة، ومنها ما يختص بالدخول على الظاهر والمضمر، وأنَّ هذه الحروف منها ما يجمع بين الحرفية والاسمية، ومنها ما هي ملازم للحرفية ومنها ما يجمع لفظه بين الحرفية والفعلية.

ومن حيث الوظيفة؛ فإنَّ حروف الجر تشترك مع غيرها من الحروف في وظيفة البناء اللُّغوي، فهي وظيفة مشتركة تقوم بها حروف العطف، وأدوات الشرط والاستثناء. ويقول في ذلك ابن منظور في تعريفه للحرف بأنَّه:((الأداة التي تسمى الرابطة، لأنَّها تربط الاسم بالاسم، والفعل بالفعل، مثل : (عن، على) وغيرها)). ونُقل عن الأزهري قوله:((كل كلمة بُنيتْ أداة عاريةً في الكلام لتفرقة المعاني، اسمها حرف، وإن كان بناؤها بحرف أو فوق ذلك، مثل:(حتى، هل، بل، لعل)))(1).

وبذلك قال أبو علي الفارسي:((إنَّ كثيراً من العلاقات التركيبية في البناء اللُّغوي تتم بواسطة حروف الجر، فنجد أثره في تكوين العلاقة بين الفعل والاسم، وإنشاء العلاقة بين الأسماء المشتقة ومعمولاتها، فقد يكون الاسم قائماً بالفعل، أو متلقياً له، أو زماناً له، أو أداة له ، وفي أغلب هذه الحالات يظهر دور الحرف وأثره في توضيح علاقة الفاعلية، نحو: سقط القلم من الدرج، أو علاقة المفعولية، نحو: أخذت العلم من خالد، أو العلاقة المكانية، نحو: قعد الرجل على الكرسي، أو الزمانية، نحو: وصل القطار في ساعة، أو الأداة، نحو: كتبتُ بالقلم، وفتحت بالمفتاح))(2). أكد ذلك الكثيرون من علماء النحو، منهم محمد علي الخولي(3).

كما تبينُ حروف الجر علاقة المشتقات بالأسماء، كقولنا: أنا كاتب بالقلم، والقلم مكتوب، والكتابة بالقلم مريحة، وعمرو أكتبُ بالقلم من زيد، ومكتبتي بالقلم عند الصباح، قاصداً زمن الكتابة، والفرقة مكتبتي بالقلم للمكان ، وعند إرادة المبالغة نقول:(محمد كاتب بالقلم).

وكذلك من الوظائف التي تقوم بها حروف الجر الربط بين المضاف والمضاف إليه، فتضم كلمة إلى أخرى بتنزيل الثانية منزلة التنوين عند الأسماء المصروفة من الأولى، وتأتي بالجر للمضاف إليه، فيربط حرف الجر بين الفعل وما في معناه، وبين الاسم المجرور، حتى يصبح ذلك كأنَّه من تمام معناه، ثم بالجر لهذا الاسم. والذي يلاحظ هو أنَّ الفرق بين حرف الجر وبالإضافة أنَّ حرف الجر معدّ للفعل، كالهمزة والتضعيف. فكأنَّه من تمام الفعل وبعض حروفه. فإذا قلت: ذهبتُ راكبة بهند، فكأنَّك قلت: أذهبتُ راكبة هنداً(4).

---

[1] – لسان العرب، مادة (ح ر ف).

[2] – المسائل العسكرية، ص93– 98.

[3] – التراكيب الشائعة في اللغة العربية، ص88، محمد إسماعيل عمار، ص23.

[4] – نصوص في النحو العربي، ص321.

وبالإضافة إلى الوظيفة البنائية التي تقوم بها حروف الجر في تركيب الجملة العربية اكتشف النحاة وظائف أخرى تقوم بها حروف الجر: منها الاختصار في الكلام، نجد ذلك في إشارة من ابن جني إلى ما تقوم به حروف الجر من الاختصار، بقوله:((إذا قلت: ليس زيد بقائم، فقد نابت الباء عن (حقاً) و(البتة) و(غير ذي شك)، وإذا قلت: فيما نقضهم ميثاقهم، فكأنّك قلت: فبنقضهم ميثاقهم، فعلنا كذا حقاً أو يقيناً، وإذا قلت: أمسكتُ بالحبل، فقد نابت الباء عن قولك: أمسكته مباشراً له، وملاصقة يدي له، وإذا قلت: أكلتُ من الطعام، فقد نابت (مِنْ) عن البعض– أي أكلت بعض الطعام.. وهكذا عند بقية الحروف)).

وفي هذا يقول محمد عبدالعزيز النجار:((إنّ الجملة العربية تكتسب واحداً من المعاني التي يدل عليها كلَّ حرف من حروف الجر – وقد تكفلت كتب النحو – وكتب حروف المعاني، بسرد هذه الوظائف، وشرح الاستعمالات المختلفة لكل حرف، حتى أوصلوا معاني (لام) الجر إلى أكثر من اثنين وعشرين معنىً، وأوصلوا (باء) الجر إلى نحو أربعة عشر معنىً ... وهكذا))(1).

وبالنظر إلى ما تقدم يظهر لنا أنَّ هناك خلطاً لدى الباحثين بين وظائف حروف الجر، ودلالاتها. فالذي لا شك فيه هو أنَّ حروف الجر جميعها تقوم بوظيفة الربط بين مكونات الجملة العربية ، تشاركها في هذا العمل كل الحروف ، وتنفرد حروف الجر بوظيفة أو عمل لا تشاركها فيها حروف العربية كافة ، وهي وظيفة الجر، فحروف الجر وحدها التي تقوم بجر الأسماء الداخلة عليها، فتشترك حروف الجر في هذه الوظيفة دون استثناء، ثم تختلف عن بعضها البعض في الدلالة، فالدلالة غير الوظيفة، وليس حروف الجر وحدها التي تختص بهذه الخاصية في اللغة. فحروف النصب مثلاً، تقوم بوظيفة عامة تشارك فيها كل الحروف وهي عملية الربط، وتنفرد عنها في إعمال النصب في الأسماء الداخلة عليها، فهي وظيفة لا تقوم بها غيرها من الحروف، ثم تختلف فيما بينها حول الدلالة التي يفيدها التركيب، فنقول مثلاً:(لن) حرف استقبال ونفي ونصب، فهي تشترك مع غيرها من أخواتها في نصب الأفعال الداخلة عليها وتنفرد في صياغ الكلمة فتجعلها تدل على الاستقبال، كما تغير منها دلالة الإثبات إلى النفي. وهكذا في الحروف الجازمة للفعل المضارع، وحروف العطف التي تؤدي وظيفة الربط بين المعطوف والمعطوف عليه، ثم تنفرد كل منها بدلالة معينة كالترتيب، والاشتراك في الحكم وغيرها.

[1] – منار السالك إلى أوضح المسالك، ص387 – 398. رصف المباني في شرح حروف المعاني، ص220.

المبحث الثاني

التوسع في استخدام حروف الجر (التضمين)

تبيّن فيما سبق أنَّ لحروف الجر وظائف تشترك فيها مع عامة الحروف وهي وظيفة البناء في الجملة العربية، وتنفرد بوظيفة تختص بها وهي جر الأسماء الداخلة عليها، فهي وظيفة لا تقوم بها غير حروف الجر، ثم ينفرد كل حرف من حروف الجر بعمل يختص به يفهم من صياغ الجملة التي تربط بين أجزائها، وهو ما يعرف بمعنى الحرف أو دلالة الحرف. وإن كانت وظائف حروف الجر من عمل علماء النحو، فإنَّ البحث عن دلالتها من صميم عمل اللُّغويين.

ولا خلاف بين علماء اللغة والنحو في وظائف حروف الجر، ولكن الخلاف واقع بينهم في دلالات بعض الحروف. وجاء الخلاف بمسميات كثيرة منها: تناوب حروف الجر أو التوسع في استعمالات حروف الجر، أو التضمين، وهي كلها مسميات تدل على جواز التنوع في معنى الحرف الواحد، وكذلك جواز استعمال حروف الجر بمعاني حروف أخرى.

انقسم النحاة وعلماء اللُغة في المسألة إلى فريقين، الأول: يرى صحة التنوع في معنى الحرف الواحد ، وصحة وقوع بعض الحروف موقع بعضها الآخر، وهو مذهب الكوفيين ومن تابعهم. ويرى الفريق الثاني: إنَّه لا يجوز التنوع في معنى الحرف الواحد ولا وقوع بعض الحروف موقع البعض، وهو مذهب جمهور البصريين. واستندوا في ذلك بالقياس إلى أحرف الجزم والنصب، وإذا حدث ذلك فإنَّه مؤول تأويلاً يقبله اللفظ، كما في قوله تعالى:قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾[1] إنَّ (في) ليست بمعنى (على) كما يرون، ولكنه شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال في الشيء، أو يكون على تضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدى بذلك الحرف، كما في قول الشاعر أبي ذؤيب الهذلي:

شربتُ بماءِ البحرِ ثم ترفعت *** متى لجج خضرٍ لهن نئيجُ

فقد ضمت (شربت) الواردة في البيت معنى (روين)، وفي قولك:(وقد أحسن بي) ضمِّن معنى لطف، وأما على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى.

فالبصريون يذهبون إلى أنَّ حروف الجر لا ينوب بعضُها عن بعضٍ قياساً، فكلٌّ منها يستقل بمعناها، كما تستقل في المعنى حروف الجزم، وحروف النصب ولا تنوب بعض حروف الجزم عن بعض، وكذا حروف النصب لدلالة كل منهما على معنى لا يفي به غيره – وحمّلوا الآيات والنصوص التي استشهدوا بها على التصرف أو التوسع – في معنى الفعل، وهو ما يسمَّى (التضمين) أو على شذوذ النيابة في الحرف(2).

والتضمين عند النحاة هو: إعطاء الفعل معنى فعل آخر، يتعدى بذلك الحرف إذ الفعل اللازم يحتاج تعديه إلى مفعوله إلى حرف معين يصح استعماله مع هذا الفعل دون خلاف. فإذا استعان فعل لازم ، بحرف

[1] سورة طه، الآية (71)

[2] – الأخطاء الشائعة في استعمال حروف الجر، ص32.

لا يناسبه في التعدي إلى مفعوله يقولون إنَّ الفعل تضمَّن معنى فعل آخر كان يناسب هذا الحرف، والتضمين نفسُه محل خلاف بين (النحاة).

قال ابن جني:((اعلم أنَّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرفٍ، والآخر بحرف آخر، فإنَّ العرب قد تتوسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه، إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه))(1). وفي ذلك فائدة ؛ لأنَّ فيها مساحة للثراء اللُّغوي إذ بالتضمين تدل الكلمة على معنيين في وقت واحد، فتؤدي معناها الأصلي في الاستعمال اللُّغوي ، والمعنى الجديد الذي اكتسبته بالتضمين.

وفي ذلك يقول الزمخشري:((ألا ترى كيف يرجع معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ [2] إلى قولك: ولا تقتحم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم. ونحوه قوله تعالى:قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [3] أي: لا تضموها إليها آكلين لها))(4).

قال:((فإن قلت: أي غرض في هذا التضمين، قلت: الغرض في إعطاء مجموع معنيين ؛ وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ))(5).

ومن أنواع التضمين:

1- أن يتعدى فعل بحرف يتعدى به فعل آخر لأنَّه تضمن معنى ذلك الفعل.

2- التضمين نتيجة إجراء اللازم مجرى المتعدي.

3- نتيجة إجراء المتعدي مجرى اللازم.

ومن الشواهد القرآنية التي أوردوها لظاهرة التضمين:

1- قوله تعالى:قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ [6]

قال ابن جني:((وأنت لا تقول رفثتُ إلى المرأة، وإنَّما تقول: رفثتُ بها أو معها، لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء وكنت تعدي أفضيتُ إلى، كقولك: أفضيتُ إلى المرأة، جئت إلى مع الرفث إيذاناً وإشعاراً أنَّه بمعناه))(7).

2- قوله تعالى :قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ [8]

---

[1] – الخصائص، ج1، ص310.

[2] سورة الكهف، الآية (28)

[3] سورة النساء، الآية (2)

[4] – الكشاف، ج2، ص481، بتصرف.

[5] – المصدر السابق، ص482.

[6] سورة البقرة : الآية (187)

[7] – الخصائص، ج2، ص318.

[8] سورة إبراهيم، الآية (37)

قال أبو حيان:((وقرأ الجمهور تهوي إليهم، أي تسرع إليهم، وتطير نحوهم شوقاً ونزاعاً، ولما ضمّن تهوي إليهم معنى تميل علاه عداه بمعنى إلى، وأصله أنّ يتعدى باللام))(1).

ومنه قوله تعالىقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ [2]﴾

قال أبو حيان: ((هذا من التضمين في الفعل ضمن تقول فعديتْ بـــــ(على) الآن تقوّل تعدى بها، قال تعالى:قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴾ [3]

3- وقوله تعالى:قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ ﴾[4]

أورد ابن هشام(6) والسيوطي(7):((انتصاب عقدة على المفعول به لتضمين تعزموا معنى ما يتعدى بنفسه فضمن معنى تنووا أو معنى تصحوا، أو معنى توجبوا، أو معنى يعلم تباشروا، أو معنى تقطعوا أي تتوبوا)).

4- وقوله تعالى:قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾[8]

قال أبو حيان:((وكفر يتعدى إلى واحد، يقال: كفر النعمة، وهنا ضمن معنى حرم أي فلن تحرموا ثوابه))(9).

الذي يظهر للباحثين من خلال الوقوف على ما أورده البصريون من حجج لإثبات رأيهم وما استشهدوا بها في سبيل ذلك من آيات أنهم يجعلون الفعل مدارهم، فالفعل عندهم يحمل معاني متباينة ولا يجوز القول بأنّ الفعل معناه واحد كما لا يجوز القول بأنّ الحرف يقع موقع الآخر؛ لأنّ القضية في التركيب اللُّغوي كامنة في العامل وهو الفعل وليست كامنة في الحرف ومن أجل ذلك لما اختلف معنى العامل، جيء بالحرف الذي يناسب المعنى، أي أنّ الحرف يؤدي معنى لا يؤديه ذلك الحرف الآخر في المقام نفسه. ثم قالوا والدليل على أنّ للفعل معاني متباينة نقول: خرج فلان من الشدة أي خلص منها، وخرج على السلطان، أي تمرد وثار عليه، وخرج عن جادة الطريق، أي حاد منها، وخرج في العلم والصناعة، أي نبغ فيها(10).

فالفعل في التراكيب السابقة واحد وهو (خرج) ولكن المعاني متباينة.

الكوفيون يقولون بجواز نيابة بعض حروف الجر عن بعض، وألحقوا بذلك أسلوب التضمين، فالمدار عندهم في الجملة العربية هو الحرف وليس الفعل.

---

[1] – البحر المحيط، ج5، ص433.

[2] سورة البقرة، الآية 102

[3] سورة الحاقة، الآية (44)

[4] سورة البقرة، الآية (235)

[5] سورة البقرة، الآية (235)

[6] – مغني اللبيب، ص685.

[7] – الأشباه والنظائر، ج1، ص103.

[8] سورة ال عمران، الآية (115)

[9] – البحر المحيط، ج3، ص36.

[10] – المعجم الوسيط، ص782.

وامتدح ابن هشام مذهبهم وقال:((ومذهبهم أقل تعسفاً))(1).

ولعل رأي الكوفيين هذا، هو مصدر القول الشائع بين الناس: حروف الجر كلها بمعنى واحد، أو ينوب بعضها عن بعض(2). واستند الكوفيون في رأيهم إلى آيات كثيرة في القرآن الكريم، منها:

1- تناوب (في) بمعنى (على): ذهب الكوفيون ومن تابعهم إلى أنَّ (في) تقع في البناء اللُّغوي موقع (على) وتؤدي معناه.

والدليل على ذلك قوله تعالى:قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾[3] أي على جذوع النخل(4). ومن ذلك قول عنترة:

بطل كأنَّ ثيابه في سرحـــــــــــــــة * يحذى فعال السبت ليس بتـــــــــوأم**

وكذلك مما استشهدوا به قول سويد بن أبي كاهل الشكري:

وهم صلبوا العبدي في جذع نخلة * فلا عطست شيبان إلا بأجدعا**

أي على سرحة، وعلى جذع نخلة.

2- وتنوب (في) عن (إلى): كما في قوله تعالىقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ [5]﴾ وتنوب عن (الباء): كما في قول زيد الخيل:

وتركتُ يوم الرَّوع فيها فوارس * بصيرون في طعن الأباهر والكلى**

فالشاهد في الآية: إلى أفواههم، وبصيرون بطعن الأباهر (الأزهية في علم الحروف).

3- وتنوب (إلى) عن (في): كما في قول النابغة الذبياني:

ولا تتركني بالوعيدِ كأنني * إلى الناسِ مطلي به التارُ أجربُ**

يريد في الناس. وتنوب عن (الباء) كما في قول كُثير:

ولقد لهوتُ إلى الكواعب كالدمى * بيضُ الوجـــــوه حديثهن رخيـــــــم**

أراد لهوت ب (كواعب).

4- وتنوب (على) عن (في): كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾[6]. أي في ملك سليمان. وتنوب عن (من) كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ [7] ، أي من الناس.

5- وتنوب (عن) مكان (من) كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ [8]﴾ أي من عباده .

---

[1] – المغني، ص111.

[2] – الأخطاء الشائعة في استعمالات حروف الجر، ص31.

[3] سورة طه ، الآية 71

[4] – رصف المباني، ص388.

[5] سورة إبراهيم، الآية (9)

[6] سورة البقرة الآية 102

[7] سورة المطففين ، الآية 2

[8] سورة الشورى ، الآية 6

المبحث الثالث

حروف الجر في التركيب اللغوي

النحاة مجمعون على تقسيم الكلمة العربية إلى ثلاثة أقسام :اسم، وفعل، وحرف. توصلوا إلى هذا التقسيم باستقراء الكلمات ودراستها. يقول ابن هشام في ذلك ا:((لما ذكرتُ حدّ الكلمة، بينت أنّها جنس تحته ثلاثة أنواع : الاسم، والفعل، والحرف، والدليل على انحصار أنواعها في هذه الثلاثة الاستقراء، أي التتبع، فإنَّ علماء هذا الفن تتبعوا كلام العرب فلم يجدوا إلا ثلاثة أنواع، ولو كان هناك نوع رابع لعثروا على شيء منه.)) وعلى الرغم من أننا لم نقف على دراسات قديمة تحدد نسبة انتشار كل نوع ومقدار تداوله في الاستخدام اللُّغوي، إلاّ أنَّ دراسة حديثة، قدمها محمد الخولي عن التراكيب الشائعة في اللغة العربية وتضمنت حوالي (4400) كلمة من خلال مجموعة من العينات اللُّغوية، دلّت هذه الدراسة على أنَّ الاسم أكثر انتشاراً من الآخرين، يليه الحرف ثم الفعل، وقد بينت تلك الدراسة أنَّ الحروف – بأنواعها– تمثل ثلث اللغة التي نستعملها، وأنشط هذه الحروف وأكثرها حيوية هي حروف الجر لصلتها بالأسماء واختصاصها بها، وعلى الرغم من أنَّ الاسم تعتريه حالات الإعراب الثلاث: الرفع، والنصب، والجر، وتتعدد الفرص المتاحة للرفع:(مبتدأ، وخبر، فاعل، نائب فاعل) اسم كان أو كاد وخبر إنَّ، وكذلك تتعدد الفرص المتاحة للنصب: (مفعول به، ظرف زمان، ظرف مكان، حال، تمييز، استثناء، مفعول مطلق، مفعول لأجله، مفعول معه... إلخ) وينحصر الجر في الجر بالحرف أو بالإضافة أو الاتباع، وكان يتبادر إلى الذهن في ضوء هذا التقسيم الإعرابي أنَّ الأسماء المجرورة أقلَّ انتشاراً في اللغة من الأسماء المرفوعة أو المنصوبة، ولكن الدراسة التي أشرنا إليها دلت على تفوق الأسماء المجرورة على غيرها بفارق كبير. كما بينت تلك الدراسة أنَّ المجرور بحرف الجر أكثر شيوعاً من المجرور بالإضافة والتبعية. ودلت على أنَّ متوسط تكرار حروف الجر في كل عينة من عينات البحث حوالي سبع مرات، ولم تخل عينة من استعمال هذه الحروف، وكانت تتكرر في العينة الواحدة ما بين ثلاث واثنتي عشرة مرة، وبلغت انتشار حروف الجر بين مفردات اللغة العربية المعاصرة نسبة (14,1%) ، ونسبة انتشارها بين الحروف عامة (14,5%).

وبإعادة النظر في تلك الدراسة يظهر أنَّ الأسماء المجرورة بحرف الجر يبلغ ربع الأسماء المستعملة في اللغة تقريباً، وأنَّ حروف الجر تمثل سُبع المفردات التي نستعملها من جملة كلماتنا. وهذا يعني أنَّه في كل أربعة أسماء نستعملها منها اسم مجرور بحرف الجر، وأنَّه في كل سبع كلمات نكتبها أو نستخدمها يوجد حرف من حروف الجر.

وقد اثبتت الدراسة أنَّ أكثر الحروف انتشاراً هي:(في، الباء، من، اللام، على، إلى، عن، الكاف، حتى). وتختلف الأسباب والعوامل التي أدت إلى انتشار حروف الجر في اللغة، فبعضها يرجع إلى طبيعة اللغة التي تحتاج إلى الحروف لربط أجزاءها بغرض البناء اللغوي. وبعضها يعود إلى وظيفة وعمل الحروف نفسها ودورها في التراكيب كتعدي بعض الأفعال اللازمة بها، وبعضها يعود إلى الاستعمال اللُّغوي الشائع ، ويمكن تلخيص تلك الأسباب في الآتي:

أ- صلة حروف الجر بالأسماء، واختصاصها بها إذ إنَّ الأسماء أكثر مفردات اللغة انتشاراً، وتقدر ذلك بنسبة 60% من المفردات المستخدمة.

ب- كثرة حروف الجر مقارنة بغيرها من الحروف العاملة إذا تقارب العشرين حرفاً أو أكثر في كتب النحاة.

ت- تعدد معانيها ودلالاتها حتى بلغت معاني بعضها حوالي (22) معنى كـــــ(إلى) مثلاً.

ث- التوسع في استعمالها بحيث يحل بعضها محل بعض على اختلاف الآراء فيها.

ج- التضمين الذي يسمح لنا بأن نضع حرفاً لتضمن الفعل معنى يقتضي هذا الحرف.

ح- الحاجة إلى استعمال حروف الجر في التعبير عن العلاقات اللغوية المختلفة، والدلالة على الزمان أو المكان أو الأداة أو علاقة الفاعلية أو المفعولية وربط الأسماء بالأسماء، والأسماء بالأفعال وغير ذلك من استعمالها أصالة أو زيادة.

خ- إمكان دخول حروف الجر على بعض المنصوبات مثل :اللام مع المفعول لأجله و(في) مع الظروف وما ينوب عنها.

د- تكرارها مع المعطوف إذا كان المعطوف عليه ضميراً مجروراً، نحو قوله تعالى: ﴿ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾[1]

ونحو: ما مررت به ولا بعمرو، وذهبت إليهم وإلى والديهم(2).

ذ- استعمالها للتقوية مع المصدر والمشتقات لضعف دلالة الفعل فيها.

ر- استعمالها مع الأفعال اللازمة، والحاجة إليها لبيان متعلقاتها والأفعال اللازمة أكثر انتشاراً من الأفعال المتعدية.

ز- خفتها في النطق والكتابة، وهي على حرف أو حرفين، وقليل منها ما كان على ثلاثة أو أكثر.

س- الرغبة في الربط، والأحكام بين عناصر الجملة، والرغبة في الاستقصاء والتفصيل والاستيعاب، وفي إفراغ المشاعر، وتلوين العرض، واستيفاء العبارة، وتعدد وظائفها الفنية واللُّغوية لدى الكتّاب.

الذي يتتبع تراكيب حروف الجر في البناء اللغوي يلحظ الاضطراب والخلط الذي يسود استعمالها، والتساهل في نثرها في ثنايا التركيب اللُّغوية المختلفة، وسوء توظيفها وعدم التدقيق في معرفة وظائفها ومعانيها ووضعها في غير موضعها أو إقحامها حيث لا يحتاج إليها في التعبير، وعدم المعرفة والتمييز بين التعدي واللزوم في الأفعال واستعمال أحدهما مكان الآخر، مما جعل حروف الجر مبتذلة، مهينة أُتخذت متكأ لربط مفتعل أو وسيلة يستخفَّ بها عند الاستعمال أو الترك، وإنَّ قضية التعدي واللزوم أكثر القضايا التباساً في الاستخدام اللُّغوي، ليس على العامة فحسب بل على المختصين في هذا المجال. ومن أمثلة ذلك: استخدامهم الفعل (وقف) شاهداً على الأفعال اللازمة في قولهم:(وقف محمد مع زملائه تحيةً وتقديراً للمعلم) مع أنَّ هذا الفعل يأتي لازماً كما سبق، وكما نقول:(وقفت انتظرتك طويلاً، ووقف الجندي على حدوده،

[1] سورة فصلت، آية 11

[2] – منار السالك إلى أوضح المسالك، ج2، ص109.

ووقف زيد بمدخل المنزل) ..إلخ. وغير ذلك من الاستعمالات، وكذلك يأتي متعدياً، ولم يأت في القرآن الكريم إلا متعدياً، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾[1] .وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [2] وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾[3]. ، بالبناء للمجهول، ونائب الفاعل وهو المفعول به.

وفي ذلك يقول الزمخشري:((وقفته وقفاً، فوقف وقوفاً، وما وقفني الله على خزينة قط، ووقف القارئ على الكلمة وقفاً، ووقف الكلمة وقفاً))(4).

ولذلك نقول: وقفته عند حد أو على حده، ووقف السائق سيارته عند بيته، ووقفتُ الأرض على طلاب العلم، ووقَّف الشرطي السيارات المخالفة، والمصدر في كل ذلك (وقف)

ومن أمثلة الأفعال التي تستخدم متعدية الفعل (دخل) إذا تجدهم يقولون : دخل المعلم الفصل، يساق ذلك مثلاً للأفعال المتعدية، وفي هذا يقول ابن هشام:((وهذا التمثيل غير دقيق، نحو: دخلتُ الدار، وسكنت البيت، فانتصابها على التوسع بإسقاط الخافض))(5).

وقال ابن الوردي في التحفة:((النصب في دخلتُ البيت، وسكنت الدار على التوسع وإجراء اللازم مجرى المتعدي))(6).

وقال ابن منظور:((دخلتُ البيت، والصحيح فيه أن تريد: دخلت إلى البيت، وحذفت حرف الجر، فانتصبت انتصاب المفعول به. وما جاء من ذلك هو بحذف حرف الجر نحو: دخلت البيت، وصعدت الجبل، ونزلت الوادي))(7).

وهكذا التتبع والاستقراء يظهر اللبس والاضطراب لدى المعاصرين في الأقوال والكتابات في ضبط استعمال حروف الجر وتوظيفها ؛ فتجدهم استعملوها في غير مواضعها، فأقحمت أو نقصت، وزيدت أو حذفت، وأبدل بعضها من بعض على غير ما تقتضيه العربية السليمة.

وإذا تتبعنا هذه الاستعمالات المعاصرة التي تخالف الاستخدام السليم وأضفنا إليها الاستعمالات القديمة التي شاعت وتملكت الألسن، واحتكمنا فيها إلى المعاجم اللُّغوية وقواعد النحو العربي والصرف المجمع عليها نجد أنَّ هذه الأخطاء تتمثل في الآتي:

1- إبدال حرف جر بحرف جر آخر،

2- إبدال ظرف بحرف جر

3 – إسقاط حرف الجر والفعل يطلبه.

4- زيادة حرف الجر من غير حاجة

---

[1] سورة الصافات، الآية 24

[2] سورة الأنعام، الآية 27

[3] سورة الأنعام، آية 30

[4] – منار السالك إلى أوضح المسالك، ص17.

[5] – شرح التحفة الوردية، تحقيق: عبدالله الشلال، 1491ه، ص22.

[6]- شرح التحفة الوردية، ص22 .

[7]- لسان العرب مادة (دخل) .

أولاً : إبدال حرف بحرف

وهو من أبرز الأخطاء الشائعة في استعمال حروف الجر ؛ إذ يتركون الحرف الصحيح. الملائم للمعنى الموافق للفعل، ويضعون مكانه حرفاً آخر لشبه تعتري معنى الفعل أو معنى الحرف أو من أثر الترجمة أو غير ذلك. ومن أمثلته:(أثّر فيه أو به)، تجدهم يقولون أثّر عليه، ولك عليه تأثير عظيم، وهذا يؤثر على العلاقات بين الدول، وأثّر فلان على الناس بحسن حديثه، ولم يؤثر على فقدانه وهكذا يستخدمون خطأ، الحرف على التعدي بالفعل (أثّر)، والصواب أنّ هذا الفعل (أثّر) وما يشتق منه يتعدى بالحرف (في) أو (الباء)، فيقال أثر فيه أو به، ولك فيه تأثير عظيم، وهذا يؤثر في العلاقات الدولية، وأثر فيه بلباقته، ولم يؤثر في فقدانه. والشواهد على صحة ذلك كثيرة منها: قول سيدنا علي –كرم الله وجهة– يذكر فاطمة – رضي الله عنها–:((فجرّت بالرِّحي حتى أثرت بيدها، واستقت بالقربة حتى أثرت في نحرها))(1).

وقال عنترة:

أشكو من الهجر في سرٍّ وفِي عَلَنَ * شكوى تؤثر في صَلب من الحَجر**

وقال ابن منظور:((التأثر: إبقاء الأثر في الشيء، وأثر في الشيء: ترك في أثراً، والأثر: الأجل، وأصل من أثر مشبه في الأرض، فإنَّ من مات لا يبقى له أثر، ولا يرى لإقدامه في الأرض أثر، ويقال: أثر بوجهه وبجبينه السجود، وأثّر فيه السيف والضربة))(2).

وأورد أحمد بن فارس في مقاييس اللغة عن الخليل(3): ((المئثرة: مهموز: سكين ُ يؤثر بها في باطن فرسن البعير، قال تعالى ﴿ كَانُوٓاْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [4]وقوله تعالى: ﴿ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [5]

قال إبراهيم السامرائي :((أما تعدي (أثّر) بالحرف (على) فترجع إلى الترجمة عن اللغات الأوربية كالفرنسية والإنجليزية كقولهم في الإنجليزية it is under the in fluenco))(6).

ثانياً: إبدال ظرف بحرف:

كثيراً ما نجد في التراكيب اللُّغوية في البناء اللغوي إحلال بعض الظروف محل حروف الجر وذلك لشبهة تعتري المعنى، أو لطبيعة الفعل. وأشهر هذه الظروف تداولاً:(مع، تحت، حول، وعند)، فقد تزاد في الكلام أو تحل محل وأو العطف، ومن أمثلة ذلك: إحلال (مع) محل واو العطف في صيغة افتعل وتفاعل، فيقولون: اختصم فريقنا مع الفريق الآخر، وتبارت مدرستنا مع المدرسة المجاورة واجتمع خالد مع اللجنة، وتزامل زيد مع عمرو في السفر، واشتجر فلان مع جاره، وتشاجر اللاعبون مع الحكم، وتقابل فلان مع

---

[1]– معجم الأخطاء الشائعة، ص21.

[2]– المصدر السابق، ص22.

[3]– معجم مقايس اللغة، 1411هـ.

[4] سورة غافر، الآية 21

[5] سورة غافر ، الآية 82

[6] – فقه اللغة المقارن، ص291 – 295.

صديقه، وتقاتل مع العدو، وتصارع مع المرض. إلى غير ذلك من التغيرات المختلفة، ولكن صيغة (افتعل) و(تفاعل) تقتضي المشاركة، وتتعين فيها واو العطف لإفادتها الاشتراك في الحكم، وإنَّ (مع) لا تقوم مقامها، والصواب في كل هذه التعابير أن يقال: اختصم فريقنا والفريق الآخر، وتبارت مدرستنا والمدرسة المجاورة، واجتمع خالد واللجنة، وتزامل زيد وعمرو في السفر، واشتجر فلان وجاره وهكذا.. في كل مثل هذه التعابير. وإذا أُسند (افتعل) أو (تفاعل) إلى ألف الاثنين أو واو الجماعة، أو الاسم الظاهر، فمن الزيادة المطلقة ذكر (معاً) أو (مع) بعضهم بعد هذه الصيغة، مثل تباريا معاً، وتزاملا معاً، واختصم فلان وجاره معاً، أو اشتركا معاً في التجارة، أو تبارت الفرق مع بعضها.

قال الحريري:((وهذه من الزيادة التي لا حاجة إليها، ؛ لأنَّ صيغة (افتعل) أو (تفاعل) تغني عنها، وتسد مسدها في هذه اللغة الشاعرة))(1).

ثالثاً: إسقاط حرف الجر والفعل يطلبه:

وكذلك من الظواهر اللغوية الخاطئة في استعمال الحروف، إسقاط حرف الجر من التعبير في الوقت الذي تطلبه مادة الفعل، أو ما ينوب عنه، ولا يستقيم الكلام دونه، ونجد ذلك كثيراً في الاستعمالات الأدبية والصحفية، وفي البحوث العلمية والخطب والمحاضرات وغيرها، وهو ما عبر عنه النحاة بـــــ(نزع الخافض) ، أو حذف الجار، ووقع ذلك في بعض المواضع في القرآن الكريم لغرض بلاغي أو لغوي ، ومن أمثلة ذلك، يكتب كثير من الناس على خطاباتهم: اليوم 15/ محرم أو اليوم 7 ربيع الثاني أو الأحد 23 رمضان، أو السبت 18 يناير، وهكذا..، والصواب أن تسبق الشهر كلة (من)، لأنَّ اسم الشهر ليس تمييزاً للعدد الذي يمثل ترتيب اليوم بين أيام الشهر، والمقصود أن يقال: هذا اليوم هو الخامس عشر مثلاً من الشهر أو من شهر كذا، فيكتب اليوم 15 من محرم، واليوم 9 من ربيع الأول، والسبت 14 من شوال وهكذا...

رابعاً: زيادة حرف الجر من غير زيادة :

يقصد بزيادة حرف الجر استخدام حرف الجر في الكلام حيث لا مقتضى لوجوده ولا حاجة إليه في الترتيب، فالجملة من دونه سليمة المعنى والإفادة، فالفعل فيها متعدٍ بنفسه إلى مفعوله ولا يحتاج إلى حرف جر يوصله إليه. وإنَّ استخدام الحرف في هذا المقام يُشعر بإنزال الفعل المتعدي منزلة اللازم وتجوهلت قدرته على نصب المفعول به بنفسه، الأمر الذي لا يقول به أحد من النحاة. وبتتبعنا للاستخدام اللغوي تبين لنا أنَّ ظاهرة الزيادة قد تفشت في جسم اللغة وكادت أن تفوق اختيها السابقتين (إحلال حرف أو ظرف حل محل حرف أخر، وإسقاط حرف الجر)، وأصبحت مباحة لدى الكتَّاب والصحافيين وعلى ألسنة الخطباء والمحدثين وفي مجال البحث العلمي والأدبي وفي ما تخرج المطابع من كتب ومؤلفات. لذلك ؛ كان لزاماً على المهتمين بسلامة اللغة الوقوف أمام هذه الظواهر السالبة وتصويبها حتى لا تعكر صفو العربية ، وأنَّ هذه الزيادة لم تكن على شاكلة واحدة، بل تتنوع بتنوع أجزاء الكلام.

---

[1] – اللغة العربية وبناؤها، ص95.

وإنّ أكثر حروف الجر زيادة هو: الباء، ثم: من، على، في، اللام، عن، إلى، وذلك ؛ بنسب متفاوتة. ومن أمثلة ذلك:

زيادة حرف الجر (الباء) على المفعول به، كما في قولهم:(ذكر فلان بأنَّ الكتاب موجود، وحضر إليَّ، وذكر بأنك مريض، ويذكر بأن المعلم كلّفهم ذلك، ووجدته ذاكراً بأنَّ الموعد قريب، ولعلك متذكر بموعدنا غداً، إلى غير ذلك من الاستعمالات المماثلة لما سبق. إذ نجدهم يعدّون الفعل (ذَكَر) إلى مفعوله (بالباء) وهو فعل يتعدى بنفسه، فالصواب أن نقول: ذكر فلان أنَّ الكتاب موجود، وذكر أنك مسافر أو مريض، ويذكر أنَّ المعلم كلّفهم ذلك، ووجدته ذاكراً أنّ الموعد قريب، ولعلك متذكر موعدنا غداً، وهكذا...، فالواجب حذف الباء، لأنّ (أنّ) ومعموليها في تأويل مصدر مفعول به للفعل (ذكر)، والأدلة على ذلك كثيرة، منها ما جاء في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ [1]وقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ ﴾ [2]

ومن ذلك قول الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سُلمى:

بل اذكرَنْ ضيرَ قيسٍ كلِّها حسباً * وخيرها نائلاً وخيرها خُلُفـــــــــــا(3)**

وقول أبي نواس:

ذكر الصَّبُـــــــــــــوحَ بسُحرةٍ فارتاحـــــــا * وأمَلَّهُ، ديكُ الصَّباح صياحا(4)**

ومع ذلك فإنَّ (الباء) تأتي مع المنصوب به إذا كان الفعل مضعّفاً كما في قوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ ﴾[5]

وقوله تعالىقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾[6]

وقوله تعالىقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾[7]

وكذلك تأتي (الباء) بعد استيفاء المفعول به كقولنا: ذكر أخاه بخير، أو ذكر الحادث بمرارة. وبعد نائب الفاعل كما في قول الشاعر قعنب بن ضمرة :

صمّ إذا سمعوا خيراً ذُكِرْتُ به *** وإذا ذَكِرتُ بشرٍّ عندهم أُذنوا(8)

---

[1] سورة الإسراء، الآية 46
[2] سورة الأعراف، الآية 205
[3]– ديوان زهير، ص48.
[4]– ديوان أبي نواس، ص10.
[5] سورة الأنعام ، الآية 70
[6] سورة ق، الآية 45
[7] الفرقان، الآية 73
[8]– نوادر المخطوطات، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، دار الجيل – بيروت، ج1، ص102.

المبحث الرابع

زيادة حروف الجر في التركيب اللُّغوية ووظائفها

لا خلاف بين النحاة على اختلاف مذاهبهم أنَّ الحرف قد ترد زائدة في التركيب اللُّغوي، وزيادة الحرف في الإعراب أو البناء اللُّغوي لا تعني عندهم أنَّ الحرف ليست له وظيفة أو دلالة في التركيب والمعنى، أو أنَّ الكلام يستقيم به وب من دونه، بل يقصدون أنَّ الزيادة غرضها بيان زيادة في المعنى، وأنَّ ذلك المعنى لا يتحقق من دونها. وإذا فُقدت الزيادة فإنَّ انسجام العبارات وتركيبها لا يتم ب من دونها، ويظهر ذلك جلياً في النص القرآني المعجز، قال محمود إسماعيل عمار:((ومعنى ذلك أنَّ قبول الزيادة مرتبط بهذا الأصل تفسر به الأعمال العالية، ويتاح للمنشئين والمبدعين، وينشأ فيه المعنى والتركيب، ويقبل في اقتصار الكلام، لأنَّه خلاف الأصل، ويشترط تحقيق غرض بلاغي أو معنوي حتى لا يؤول إلى فرضي في اللغة أو خروج عن أصولها المقررة))(1) .

عندما عدَّ الإمام الغزالي الزيادة نوعاً من أنواع المجاز، وأنَّه يأتي في الكلام لغير فائدة(2). ونستهدي إلى ذلك بقوله:قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[3] وقال أي (ما) في هذه الآية زائدة لا معنى لها، أي فبرحمة من الله لنت لهم. ردّ عليه ابن الأثير بأن ليس هذا من باب المجاز في شيء، إذ إنَّ (ما) ها هنا دالة على الوضع اللغوي المنطوق به في أصل اللغة، وليس من الزيادة، لأنَّ (ما) جاءت تفخيماً لأمر النعمة التي لان بها رسول الله ﷺ لهم. وهي محض الفصاحة. لو أسقطت (ما) لفقدت العبارة هذه الفخامة والجزالة التي اكتسبتها بسبب (ما) وإنَّ ذلك لا يعرفه إلا أهله من علماء الفصاحة والبلاغة(4).

ثم يتابع قوله ذاكراً أنَّ من ذهب إلى أنَّ في القرآن لفظاً زائداً لا معنى له، فإنَّه إمّا أنَّ يكون جاهلاً بهذا القول، وإما أنَّ يكون متسامحاً في دينه واعتقاده.

أما قول النحاة بزيادة (ما) في هذه الآية، فإنَّما يقصدون أنَّها لا تمنع ما قبلها عن العمل، كما يسمونها في موضع آخر(كافة)، أي أنَّها تكف الحرف العامل عن عمله. وبالبحث ثبت أنَّ حروفاً تقع في التركيب اللغوي وبناء الجمل زائدة. وقد حصر النحاة الزيادة في ثلاثة أحرف، هي : (من، اللام، والباء) من بين حروف الجر العشرين، وبيّن سيبويه في الكتاب أنَّ وظيفة الزيادة في هذه الحروف هي (التوكيد) ، فهي ذات وظيفة في المعنى مشعرة بقوة الفعل، أو تعميمه، أو تخصيصه، ونحو ذلك. ويوضح أنَّه ليس معنى الزيادة عدم الفائدة عن الإطلاق، وهذا أوضح ما يكون في حروف الزيادة في القرآن الكريم، فهي زيادة إعرابية، وليست على معنى أنَّ الكلام بها و من دونها سواء.

نعرض فيما يلي أنموذجاً لزيادة تلك الحروف ودلالاتها الوظيفية:

---

[1] – الأخطاء الشائعة في استعمال حروف الجر، ص35.

[2] – المثل السائر في أدب الكاتب، ج2، ص92.

[3] سورة آل عمران ، الآية 159

[4] – المثل السائر، ص93– 94.

1- زيادة (مِنْ): تأتي (من) زائدة لتفيد التنصيص على العموم، أو توكيد التنصيص عليه، إذا سبقها نفي، أو نهي، أو استفهام بـــــــــ(هل، وكان) مجرورها نكرة، موقعها من الإعراب (فاعل) مثل: قوله تعالى: ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ ﴾[1] : أو مؤولاً به في الأصل، نحو قوله تعالىقَالَتَعَالَى: ﴿ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزٗا ﴾ [2] أو مبتدأ، نحو قوله تعالى: ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾[3] .

فالمتتبع يتبين له أنَّ (من) في هذه المواضع زائدة. ومعنى الزيادة ورودها بين طالب وهو: الفعل ومطلوب وهو الفاعل في الآية الأولى. والمفعول به في الآية الثانية، والابتداء والمبتدأ في الآية الثالثة، وبالرغم من أنَّه من ظاهر القول يمكن أن تتحقق دون (من) إلاّ أنَّ وجودها أفاد التنصيص على العموم في المثالين الأول والثالث، إذ إنَّ المطلوب نكرة غير محضة مختصة بالنفي وهي (ذكر، وخالق)، بينما أفاد التوكيد على تنصيص العموم في المثال الثاني، لأنَّ المطلوب نكرة مختصة بالنفي، وهي (أحد) وإنَّ سقوط (من) وعدم زيادتها من هذا التركيب، تفويت لهذه الدلالة التي اكتسبها بوجوده كما أنَّ سقوطها يحدث إخلالاً بالمعنى المراد.

وقد اجتمع الثلاثة في قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍ ﴾[4]. فـــــــــــ(من) زائدة في الموضعين، وولد مفعول به لـــــــــــ(اتخذ)، وإذا قدرت (كان) تامةً، و(إله) مرفوعها وهو فاعل، وإنَّ قدرتها ناقصة، فـــــــــــ(إله) اسمها، وأصله المبتدأ، وأفادت زيادة (من) في كل التركيب التنصيص عن العموم ؛ لأنَّ (من) دخلت على (ولد، وإله) وهما نكرتان لا يختصان بالنفي.

2- زيادة اللام: كذلك تأتي (اللام) زائدة في البناء اللغوي لإفادة التوكيد وتقوية المعنى وتعزيزه. ومن ذلك أن تتوسط بين الفعل المتعدي ومفعوله المؤخر عنه. كما في قول ابن ميادة، مادحاً عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك:

وملكت ما بين العراق ويثرب * ملكاً أجار لمسلم ومعاهد**

فهو يقصد أجار مسلماً، ومُعاهداً، أو أن يدخل بين المضاف والمضاف إليه، نحو قول القائل: يا ويح لزيد، ولا أخا لعمرو، ولا أبا لك، ويا شناعة الجهل، ويا بؤساً للحرب. فالذي يلاحظ أن اللام في كل هذه المواضع زائدة معترضة بين المضاف والمضاف إليه. كما يقول ابن جني(5).

تمكيناً واحتياطاً لمعنى الإضافة، يقول في ذلك ابن هشام:((أقحمت تقوية للاختصاص))(6).

وفرّق النحاة بين اللام الزائدة هذه، واللام التي تأتي في البناء اللغوي لتقوية العامل الذي ضعف، إما بكونه فرعاً في العمل، نحو قوله تعالى:قَالَتَعَالَى: ﴿ مُصَدِّقَا لِّمَا مَعَهُمۡ ﴾[1]ونحو قوله تعالى: ﴿ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [2]

---

[1] سورة الأنبياء، الآية 2
[2] سورة مريم، الآية 98
[3] سورة فاطر، الآية 3
[4] سورة المؤمنون، الآية 91
[5] – الخصائص، ج3، ص108.
[6] – مغني اللبيب، ص216

وإما بتأخره عن المعمول نحو قوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ [3] وقوله تعالى: ﴿ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [4]

وتسمَّى هذه اللام (اللام المقوية)، أو (لام التقوية)، ويقول في ذلك ابن هشام:((وليست المقوية زائدة محضة، ولا مُعدِّية محضة، بل هي بينهما))(5).

الخاتمة

إنّ ما لمسانه من إشكالية حقيقية في استخدام حروف الجر في البناء اللغوي من خلال تعبيرات مختلفة وما يختلط منها على الألسن والأقلام في التخاطب والكتابة، دفعنا لكتابة هذا البحث، فعايشنا الموضوع زمناً ليس بالقصير توصلنا من خلاله إلى النتائج الآتية: إنّ حروف الجر أكثر أنواع الحروف العاملة انتشاراً في التراكيب اللُّغوية المختلفة والبناء اللغوي، وهي أنشط الحروف وأكثرها حيوية، إنّ سبب انتشار حروف الجر أكثر من غيرها يرجع إلى أسباب كثيرة منها، طبيعة اللغة العربية التي تحتاج في إجرائها بغرض البناء السليم، إلى وظيفة وعمل الحروف نفسها ودورها في التركيب، كتعدي بعض الأفعال اللازمة، وصلتها القوية بالأسماء واختصاصها بها، والأسماء تشكل نسبة 60% من المفردات المستخدمة.

تشكل الحروف عنصراً مهماً في العلاقات التركيبية كعلاقة الفاعلية أو المفعولية، والعلاقة الزمانية والمكانية. تشترك حروف الجر مع غيرها من الحروف العاملة في تشييد البناء اللغوي، ثم تتفرد بوظائف تخصها كالجر والإضافة والاختصار في الكلام. ثم ينفرد كل حرف عن غيره في الدلالة والمعنى. وفي ذلك خلاف بين النحاة واللُّغويين. تشكل حروف الجر عنصراً مهماً في تفسير القرآن الكريم والإفهام النحوي والعلاقات الدلالية في كثير من التراكيب اللغوية. يأتي حرف الجر زائداً لبيان المعنى ، بحيث يحل بعضها محل بعض، واختلاف الآراء في ذلك أدى إلى اضطراب واسع في الاستخدام والتساهل في نثرها في ثنايا التراكيب اللغوية المختلفة.

يرى الباحثون ضرورة إيجاد قاموس يعمل على تصنيف الحروف العاملة وبخاصة حروف الجر، يكون فيه التصنيف قائماً على الدلالة والوظيفة، تتبع والقرآن الكريم والنصوص الأدبية للوقوف على المعاني غير المباشرة للحروف ، الاهتمام بتصويب الاستعمالات الخاطئة للحروف في التراكيب اللغوية، خاصة في المناهج الدراسية، وملاحقة تصويب الدارسين ميدانياً حتى لا تتفشى ظاهرة الاستعمالات الخاطئة لهذه الحروف.

---

[1] سورة البقرة ، الآية 91
[2] سورة البروج ، الآية 16
[3] سورة يوسف، الآية 43
[4] سورة الاعراف، الآية 154
[5] – منار السالك، ج1، ص390.

المصادر والمراجع:

1- ابن منظور، جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (ب-ت).

2- أبو حبان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر، 1983م.

3- أبو نواس، ديوان أبي نواس، تحقيق: أحمد عبدالمجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1404ه.

5- أحمد بن عبده ربه، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين، مطبعة لجنة التحقيق والترجمة، ط3، 1391ه.

6- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411ه.

7- أحمد عبدالنور المالقي، رصف المباني في حروف المعاني، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط2، 1405ه.

8- الجرجاني، عبدالقاهر، المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق: كاظم بحر، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982م.

9- الأزهري، أبو منصور محمد بن إسحاق بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، مصر، ط4، 1967م.

10- الأشموني، أبو الحسن علي بن نور الدين، شرح الأشموني على الألفية، تحقيق: محمد 11-محي الدين، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط2، 1939م.

12- إميل يعقوب، معجم الخطأ والصواب في اللغة، دار العلم للملايين، ط2، ص1986م.

13- الأنباري، كمال الدين أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق: محمد محي الدين، دار الفكر، بيروت، (د-ت).

14- الأنصاري، أبو زيد، النوادر في اللغة، دار الكتاب العربي، بيروت، (د-ت).

15- ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري، الأصول في النحو، تحقيق: عبد المحسن الفتلي، مطبعة الأعظمي، بغداد، 1973م.

16- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، (د-ت).

17- ابن عقيل، بهاء الدين بن عبدالرحمن، شرح ابن عقيل على الألفية، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، ط15، 1967م.

18- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد صقر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1393ه.

19- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، تحقيق: محمد أحمد شاكر، دار الكتب المصرية، 1391ه.

20- الجوهري، الصحاح في العربية، تحقيق: عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1399م.

21- الخولي، محمد علي، التراكيب الشائعة في اللغة العربية، دار العلوم بالرياض، ط1، 1402ه.

22- ديوان ذي الرمة، تحقيق: كارليل مكارتني، عالم الكتب.

23- الرماني، علي بن عيسى، كتاب معاني الحروف، تحقيق: عبدالفتاح شلبي، دار الشروق، 1981م.

24- الزبيدي، تاج العروس، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1306ه.
25- الزجاجي، أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق، كتاب الجمل في النحو، تحقيق: علي توفيق الحميد، دار النفائس، بيروت، ط2، 1982م.
26- الزجاجي، أبو القاسم ، حروف المعاني، تحقيق: علي توفيق الحميد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.
27- الزمخشري، محمود بن عمر، المفصل في علم العربية، دار الجيل، بيروت، ط2، (د-ت).
28- زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير، الدار القومية، القاهرة، ط3، 1384ه.
29- سيبويه، أبو بشر عمر بم عثمان، الكتاب، تحقيق: محمد عبدالسلام هارون، ط1.
30- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة، القاهرة، 1975م.
31- محمد العدواني، معجم الأخطاء الشائعة، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1981م.
32- محمد الهروي، الأزهية في علم الحروف، تحقيق: عبدالمعين الملوجي، دمشق، ط1، 1971م.
33- محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مؤسسة جمال للنشر، بيروت، ط2، 1982م.
34- محمود شاكر سعيد، تصويبات لغوية، دار المعراج للنشر، الرياض، ط1، 1415ه.
35- المرادي، الحسن بن قاسم، الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوى، دار آفاق، بيروت، 1983م.
36- الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: تحقيق: محمد محي الدين، مطبعة السنة المحمدية، ط1، 1404ه.
37- الهلالي، حميد بن ثور، ديوان حميد بن ثور، تحقيق: عبدالعزيز الميمين، الدار القومية للطباعة، 1384ه.